تطور الأداء الموسيقي الفردي عند الموسيقيين العرب في القرن العشرين

من التقاسيم كارتجال مقيد إلى الارتجال التعبيري الحر

د.سعد الله آغا القلعة (سوريا)

في النصف الأول من القرن الماضي ، سيطرت على أذهان الموسيقيين الكبار ، فكرة فتح مجالات جديدة أمامهم ، فبعد أن كان دورهم منحصراً في مرافقة المطربين ، والتمهيد للغناء ، أو ترجمة ما يرتجله المطرب فيما سمي الترجمة أو المحاسبة ، من خلال التقاسيم ، وبعد ملاحظة التطور الحاصل في مساعي الملحنين للتعبير عن المعاني ، اتجه العازفون الكبار إلى سبر أغوار إمكانات التعبير الموسيقي المباشر عن الذات ، عبر الآلة الموسيقية.

تركز اهتمام العازفين على التعبير عن عاطفة كالفرح أو الحزن أو الشغف أو عن فكرة محددة ، من خلال ارتجالات تعبيرية تأملية تصويرية ، أولاً ، ثم كان الانتقال إلى إدماج عروض للتقنية والسرعة العالية ، يبررها عنوان العمل والتعبير عنه ، وصولاً إلى محاولة التعبير عن عواطف أكثر تعقيداً ، كالمعاناة والشعور بالوحدة ، اللذين ولدهما إيقاع الحياة السريع ، في نهايات القرن العشرين.

أسهم هذا في تحقيق نجومية خاصة للعازفين ، أبعدتهم عن الدور التقليدي للموسيقي ، في مرافقة المغني والتمهيد له ، كما أسهمت التقنيات الحديثة ، كالأسطوانة والإذاعة والتلفزيون ، في تحقيق ذلك التوجه الجديد!

تتضمن المداخلة تعريفاً للتقاسيم ، كارتجال مقيد ، وتحديد قيوده ، ومقارنة بين التقاسيم و الارتجال التعبيري ، واختلاف درجات الحرية بينهما ، كما تتضمن استكشافاً للبناء الذي اعتمده كبار الموسيقيين ، في ارتجالاتهم التعبيرية ، من خلال أمثلة جسدتها أعمالهم الموسيقية.